

صاحب الجلالة يوجه خطابا إلى الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد(1)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

حضرات السادة

يسرنا كثيرا بادىء ذي بدء ان نعرب لجمعية رباط الفتح التي أخذت نفسها بتنظيم هذه الندوة الدولية وبذلت الجهود الدائبة الحميدة لتكفل لهذا اللقاء الابعاد المديدة والاحجام المرموقة عن ثنائنا الخالص الكبير وشكرنا الوافر العظيم.

لقد وفق الله جمعية رباط الفتح الموقوفة الاهتمام والعناية على شؤون مختلفة متكاثفة الى تيسير أسباب هذا الحشد الحاشد الذي اجتمع في اثنائه واقترن صفوة من أعلام السياسة والثقافة والعلوم والآداب، لقد اتصلت دعوة الجمعية الى هذه الندوة بآفاق متباينة متباعدة، فوفد على عاصمة مملكتنا من هذه الآفاق وفود نابهة ذائعة الصيت في عالم السياسة وعالم الفكر، وحلوا بين المواطنين المغاربة وبين علمائنا وأدبائنا ومفكرينا إخوة أشقاء وأصدقاء أعزاء، فالى ضيوف المغرب الذين تفضلوا فلبوا دعوة الجمعية وخفوا مسارعين نحو هذه الندوة اكبارا وتعظيما للملك الراحل جلالة والدنا محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه، وإلى المشرفين على جمعية رباط الفتح الممسكين بزمامها، وإلى المشاركين الذين استجابوا لداعي أريحيتهم فأفرغوا اعجابهم بجلالة محمد الخامس رحمه الله فيما اعدوه من ابحاث ودراسات، والى جميع الحاضرين الذي استقطبهم موضوع الندوة ومدارها نقدم أخلص مشاعر ترحيبنا ونوجه أطيب وأجمل تحياتنا ومتمنياتنا.

كان جلالة والدنا محمد الخامس نور الله ضريحه زعيما وقائدا اتاه الله من المزايا الفكرية والفضائل الروحية ما أعانه على مواجهة الوان من المشاكل المعضلة وعلى مغالبتها والانتصار عليها في نهاية المطاف.

وإذا كانت كل شخصية وهبها الله نعمة العبقرية ووفر لها أسباب العظمة كثيرة الانحاء متعددة الجوانب فان شخصية جلالة محمد الخامس توافر لها من الواجبات والمشاهد ما جعلها خصبة غنية تتحدى الاستقراء والاحاطة والاستيعاب.

لقد خاض الملك الراحل معركة كان خصمه فيها استعمارا صارما غاشما واثقا بقوته معتدا بسلطانه، غير عابىء بما يترتب على تصرفه من كريه العواقب وذميم الأثار، وضاعف شراسة هذه المعركة وقسوة فصولها وأطوارها، انها لم تنحصر في ظرف من الزمن قصير، وانما استمر مريرها وتطاولت آمادها أعواما بعد أعوام، وادرك طيب الله ثراه بثاقب ذكائه ونافذ بصيرته ان كسب المعركة منوط باعداد شعبه، رجاله ونسائه لخوضها الى جانبه وبتعبئة قواه الفكرية والروحية ونشر الوعي بين كباره وصغاره ورياضة النفوس بالصبر على المعاناة والمكاره والخطوب.

وانتهى الصراع الى النهاية التي كان يخطبها جلالة العاهل الراحل اجزل الله له المغفرة والثواب، فتهاوى الاستعمار وانهارت دعائمه وصروحه داخل المغرب، ثم في طول القارة الافريقية وعرضها بما وطن عليه الملك الرائد نفسه من مستميت الجهاد، وهكذا تحقق للمغرب وشعب المغرب ولشعوب كثيرة ذلك المطمح الغالي

الذي طالما اشرأبت اليه الأعناق وترامت اليه الاماني فخلف عهد الحرية والاستقلال عهود السيطرة الجامحة والاستبداد، ولم يتيسر ادراك هذه الغاية الا باستخدام السلاح الذي لا غنى عنه في مثل هذه المعارك، فسخر القائد الملهم في ساحة المعركة كل قواه الروحية، وما كان يملك من استماتة ونكران للذات ومن ذكاء ومهارة ومرونة وحكمة ولين وصلابة وتصميم واصرار.

وشاءت ظروف معايشة الاستعمار ان يركب احيانا مراكب الاقدام ويقف مواقف البطولة، فلم يفت في عزيمته تردد ولا احجام، فلما الجأه الاستعمار الى الاختيار بين خطتين : خطة الحياة اليسيرة الآمنة الخالية من كل استشراف أو طموح او مثل أعلى، وخطة الحياة الوعرة الشاقة القائمة على البذل والايثار والتضحية، أملى عليه ايمانه الثابت تفضيل المسلك الصعب الذي يصان به الشرف والكرامة، ويستبقى معه الوفاء والاخلاص للمقصد الأسمى والمثل الأعلى.

حضرات السادة

ان جهاد جلالة والدنا محمد الخامس قدس الله روحه، لما اكتساه من أشكال وجال فيه من ساحات جهاد تضيق بكثافته وأبعاده حدود ندوة واحدة وان اتسعت رحابها، وما أجدر الباحثين والدارسين بأن يتصفحوا فصول حياة جلالة محمد الخامس النضالية، ويسبروا أغوار كفاحه ليروا كيف كان يفتن في استخدام ما أتاه الله من مواهب وسجايا، وكيف كان يواجه بهذا العتاد ما كانت تخلقه الممارسات الاستعمارية المختلفة تارة بعد أخرى من ظروف واحوال طوال قرابة ثلاثين سنة، ولو تصدى الباحثون والدارسون لمصاحبة خطوات الملك الرائد في كل واجهة فتحها الخصوم أو فتحها هو بمحض ارادته دفاعا عن حقوق المغرب وحقوق شعبه، لاستغرق الفحص والاستقصاء زمنا غير قليل ولعجزت ندوة واحدة عن استعراض النتائج المستخرجة ومناقشة ما يسرته الجهود.

بيد أننا موقنون بأن هذه الندوة الاولى ستتلوها ان شاء الله ندوات تكشف كل واحدة منها جوانب مستترة من تاريخ محمد الخامس الحافل بأروع الصفحات، وسيكون من أسباب ابتهاجنا واعتزازنا ان تسهم هذه الندوة بما ستلقيه من أضواء على حقبة غنية من حقب ماضينا القريب في تحقيق هدف كبير من أهدافها الا وهو توثيق أواصر الاتصال بين جيل الاستقلال وجيل مناهضة الاستعمار من أجل الاستقلال.

تغمد الله والدنا جلالة الملك محمد الخامس بواسع الرحمة والرضوان، وأعانكم الله حضرات السادة ووصل أقوالكم بالصواب، وقرن أفعالكم بالتوفيق، وكتب لندوتكم فائق النجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الاثنين 23 ربيع الأول 1408 — 16 نونبر 1987

(1) تلاها هذا الخطاب الملكي، صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد عندما ترأس الجلسة الافتتاحية للندوة المنعقدة بمسرح محمد الخامس بالرباط